

الاحمد

الحمد

بقلم: ١. عبد الحميد عبد المقصود

رسوم: ١. عبد الشافي سيد

إشراف: ١. حمدي مصطفى



نَجَّى اللهُ - تَعَالَى - بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ عُدُوهُمْ سِحَارِيْب
 مَلِكِ بَابِلَ ، وَأَهْلِكَ جُنُودَهُ ، وَبِرْغَمِ ذَلِكَ فَقَدْ عَصَى
 بَنُو إِسْرَائِيلَ رَبَّهُمْ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ ، وَارْتَكَبُوا الْمَعَاصِيَ ،
 فَأَرْسَلَ لَهُمْ نَبِيًّا جَدِيدًا هُوَ النَّبِيُّ أَرْمِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَوْحَى
 اللهُ - تَعَالَى - إِلَيْهِ أَنَّهُ سَوْفَ يَهْلِكُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَيَنْتَقِمُ
 مِنْهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ ..

وأمره سبحانه أن يقف على صخرة بيت المقدس
ليتلقي أمر الله ووحيه في بني إسرائيل .. فقام أرميا
على الصخرة ، وخر لله ساجدا ، ثم قال :
- يا رب ، وددت أن أمي لم تلدني ، حين جعلتني
آخر أنبياء بني إسرائيل ، فيكون خراب بيت المقدس
وهلاك بني إسرائيل من أجلى ..

فأمره الله - تعالى - أن يرفع رأسه ، فرفع أرميا عليه السلام
رأسه وبكى ، ثم قال :

- يا رب ، من تسلط عليهم ؟

فأوحى الله - تعالى - إليه أنه سوف يسلم عليهم عبدة
النيران ، الذين لا يخافون عقابه ، ولا يرجون ثوابه ..
وأوحى الله - تعالى - إلى أرميا عليه السلام أن يقوم مع
ملك بني إسرائيل ينصحه ويرشده ، بوحي من الله
- تعالى - ففعل أرميا ذلك ، ولكن بني إسرائيل لم
يتعظوا ، ولم ينتهوا عن إتيان المعاصي ..

وأوحى الله - تعالى - إلى أرميا عليه السلام أن يجمع
بنى إسرائيل ، وأن يخطب فيهم مذكرا إياهم بنعم
الله - تعالى - عليهم ، وأن يحذرهم من انتقام الله
منهم ، وتسليطه عدوهم عليهم ، إذا لم يرجعوا عن
المعاصي ، ويتوبوا إليه ..

فقال أرميا عليه السلام مخاطبا ربه سبحانه - عز وجل - :
- يا رب ، برحمتك أصبحت أعلم بين يديك ،
وهل ينبغي ذلك لي ، وأنا أذل وأضعف من أن ينبغي
لي أن أتكلم بين يديك ؟ ولكن برحمتك أبقيتني
لهذا اليوم ، وليس أحداً أحق أن يخاف هذا العذاب ،
وهذا الوعيد مني طويلاً (أى كرماً منك) والإقامة في
دار الخاطئين ، وهم يعصونك حولي بغير نكر ولا تغيير
منى (أى بدون أن أنكر ذلك المنكر وأحاول تغييره)
فإن تعذبني فبذنبى ، وإن ترحمني فذلك ظنى بك ..

ثم قال أرميا عليه السلام :

يا رب سُبْحانَكَ وبحمْدِكَ وتباركت ربنا
وتعاليت ، لمُخرب هذا المسجد (يعني بيت
المقدس) وما حوله من المساجد ، ومن البيوت التي
رُفعت لذكرك ..

يا رب سُبْحانَكَ وبحمْدِكَ وتباركت وتعاليت ،
لمقتل هذه الأمة (يعني بني إسرائيل) وعذابك إياهم ،
وهم من ولد إبراهيم خليلك ، وأمة موسى نبيك
(أي الذي كلمته دون وحى) وقوم داود صفيك ..
يا رب ، أي القرى تأمن عقوبتك بعد ، وأي العباد
يأمنون سطوتك بعد ولد خليلك إبراهيم ، وأمة
نبيك موسى ، وقوم خليفتك داود ، تسلط عليهم
عبدة النيران ؟

فأوحى الله - تعالى - إلى أرميا عليه السلام :

- يا أرميا ، من عصاني فلا يستكر نقيتي ، فإنني إنما
أكرمت هؤلاء القوم على طاعتي ، ولو أنهم عصوني

لأنزلتهم دار العاصين ، إلا أن أتداركهم برحمتي ..

فقال النبي أرميا عليه السلام :

- يا رب ، اتخذت إبراهيم خليلا ، وحفظتنا به ..

وموسى قربته نجيا ، فسألك أن تحفظنا ،

ولا تتخطفنا ، ولا تسلط علينا عدونا ..

فأوحى الله - تعالى - إليه :

- يا أرميا ، إننى قدسك فى بطن أمك ، وأخرتك إلى

هذا اليوم ، فلو أن قومك حفظوا اليتامى والأرامل

والمساكين ، وابن السبيل ، لكنت الداعم لهم ، وكانوا

عندى بمنزلة جنة ناعم شجرها ، طاهر مأواها .. ولا تبور

ثمارها ، ولا تنقطع ..

لقد كنت لهم بمنزلة الداعى الشفيق ، أجنبهم كل

قحط ، وكل عسرة ، وأتبع بهم الخصب ، حتى صاروا

كباشا ينطح بعضها بعضا ، فياويلهم ثم ياويلهم ..

إنما أكرم من أكرمنى وأهين من هان عليه أمرى ..



إِنْ مِنْ كَانَ قَبْلَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ مِنَ الْقُرُونِ كَانُوا
يَسْتَخْفُونَ بِمَعْصِيَتِي ، وَإِنْ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ يُجَاهِرُونَ
بِمَعْصِيَتِي ، فَيُظْهِرُونَهَا فِي الْمَسَاجِدِ وَالْأَسْوَاقِ ، وَعَلَى
رُءُوسِ الْجِبَالِ ، وَتَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ ، حَتَّى عَجَّتِ
السَّمَاءُ إِلَيَّ مِنْهُمْ (أَيِ اشْتَكَتْ) وَعَجَّتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ ،
وَنَفَرَتْ مِنْهَا الْوُحُوشُ بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ وَأَقَاصِيهَا ..
وَفِي كُلِّ ذَلِكَ لَا يَنْتَهُونَ وَلَا يَنْتَفِعُونَ بِمَا عَلِمُوا مِنَ
الْكِتَابِ ..

وَحَمَلُ أَرْمِيَا عليه السلام إِنْذَارُ رَبِّهِ - تَعَالَى - إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ..
ذَهَبَ إِلَيْهِمْ فَجَمَعَهُمْ وَوَعَظَهُمْ مُحَذِّرًا وَمُنْذِرًا إِيَّاهُمْ
مِنْ وَقُوعِ غَضَبِ اللَّهِ - تَعَالَى - عَلَيْهِمْ ، إِذَا لَمْ يَنْتَهُوا
عَنْ ارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْآثَامِ ..

حَذَّرَهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - سَوْفَ يُرْسِلُ عَلَيْهِمْ ،
عِبَادًا جَبَّارِينَ ، يَغْزُونَ بِلَادَهُمْ ، فَيُخْرِبُونَهَا وَيُخْرِجُونَهُمْ
مِنْ دِيَارِهِمْ .. فَيَقْتُلُونَ مِنْهُمْ مَنْ يَقْتُلُونَ ، وَيَأْسِرُونَ
مِنْهُمْ مَنْ يَأْسِرُونَ ..



فلما بلغهم رسالة ربهم وسمعوا ما فيها من
الوعيد والعذاب ، كذبوه وعصوه واتهموه ، وقالوا له :
- كذبت وأعظمت على الله الافتراء ، فترغم أن الله
مُعطلٌ أرضه ومساجده من كتابه ومن عبادته وتوحيده ؟
فمن يعبد الله حين لا يبقى في الأرض عابدٌ ،
ولا مسجدٌ ولا كتابٌ ؟

لقد أعظمت القرية على الله ، وأصابك الجنون ؟
ثم إنهم قبضوا عليه وقيدوه ، ثم سجنوه .. وعند
ذلك أوقع الله - تعالى - بهم غضبه وعقابه ، ونفذ
فيهم انتقامه ووعيده ..

سلط الله عليهم عدوهم بختنصر ، قائد جيوش
مملكة بابل ، فغزاهم بجنود لا عدد لهم من كثرتهم ،
ولا قدرة لبني إسرائيل على التصدي لهم ، أوقتالهم ،
أو وقف هجومهم ..

حاصرت جيوش بختنصر مملكة بني إسرائيل ،

وبيت المقدس ، حتى طال الحصار بسى إسرائيل
فاستسلموا له ، وفتحوا الأبواب ، فاندفعت الحيوش
تحوس حلال الديار ، وتخربها ..

وحكم فيهم بختصر بحكم الجاهلية ، فقتل ثلث
شعب سى إسرائيل ، وهم الرّجال القادرون على
حمل السلاح والقتال .

وأحد الثلث أسرى ، وهم النساء والأطفال ، وترك
الثلث ، وهم الشيوخ والعجائز ودور العاهات ..
ولم يكتف بختنصر بذلك ، بل داسهم بالخيـل ،
وأمر بهدم بيت المقدس ، وساق النساء والصبيان إلى
أسواق الرقيق يباعون بيع الحواري والعبيد ..

كما حرب الحصون وهدم البيوت والمساحد ، وحرق
التوراة ، كتاب الله ، الذى أنزله على موسى عليه السلام ..
فلما انتهى بختنصر من تحريب مملكة اليهود ،
كما أنذرهم الله - تعالى - وتوعدهم ، حمل الأموال والكوز
من الذهب والفضة والمجوهرات الثمينة ،

وساق الأسرى عائداً إلى مملكة بابل ..

ويُقال إنَّ بُحْتَصَرَ قد علم أنَّ بني إسرائيل كان لهم
نبيُّ يدعى أرميا ، وأنَّ الله - تعالى - قد أوحى
إليه فحذَّره مما أصابهم ، ووصف لهم ما حدث من
غزو علي يديه ، قل أن يحدث ، وأنَّ بني إسرائيل قد
كذبوا سيَّهم وصرَبوه ، ثم قيَّذوه وسجَّروهُ ..

ويُقال إنَّ بُحْتَصَرَ لما علم بذلك أمر بإحراج النبيِّ
أرميا عليه السلام من السَّحَر ، ثمَّ سأله قائلاً :

- هل كنت تحذِّر هؤلاء القوم مما أصابهم على يدى ؟

فقال أرميا عليه السلام :

- نعم ، لقد أرسلنى الله إليهم ، وأوحى إلىَّ بذلك ..
فقال بُحْتَصَرُ :

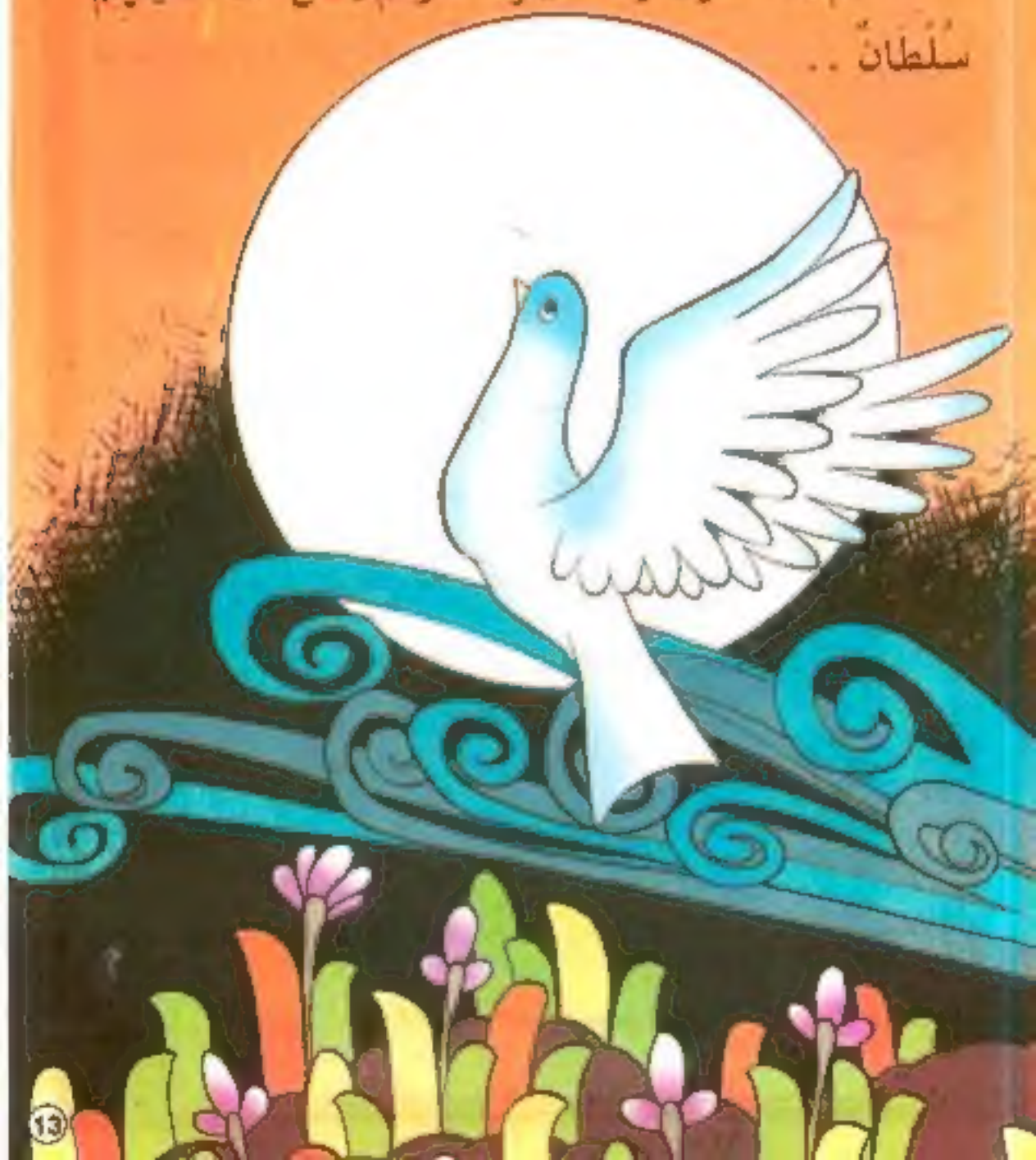
- بئس القوم ، كذبوا نبيَّهم ، وكذبوا رسالة ربِّهم ،

فهل لك أن تلحق بى ، فأكرمك وأواسيك ، وإنَّ أحبَّ

أنَّ تُقيم فى بلادك فقد أمتك ..

فَقَالَ لَهُ أَرَمِيَا عَلَيْهِ السَّلَامُ :

لَمْ أَزَلْ فِي أَمَانِ اللَّهِ ، مِنْذُ كُنْتُ ، لَمْ أَخْرُجْ مِنْهُ
سَاعَةً قَطُّ ، وَلَوْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَخْرِجُوا مِنْ أَمَانِ
اللَّهِ ، لَمْ يَخَافُوكَ وَلَا غَيْرَكَ ، وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِمْ
سُلْطَانٌ ..



وَيُقَالُ إِنَّ بُخْتَنْصَرَ قَدْ رَحَلَ إِلَى بِلَادِهِ ، وَبَقِيَ

أَرْمِيَا عليه السلام يَعِيشُ فِي مَمْلَكَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَالَّتِي
صَارَتْ خَرَائِبَ تَرْتَعُ فِيهَا السَّبَاعُ وَالْوَحُوشُ ، وَتَنَعَقُ
فِيهَا الْيَوْمُ وَالْغُرَبَانُ ..

وَيُقَالُ إِنَّ مَنْ بَقِيَ فِي مَمْلَكَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ
الشُّيُوخِ وَالْعَجَائِزِ وَالضُّعَفَاءِ وَذَوِي الْعَاهَاتِ قَدْ ذَهَبُوا
إِلَى النَّبِيِّ أَرْمِيَا عليه السلام ، وَقَالُوا لَهُ :

– لَقَدْ أَخْطَأْنَا وَأَسَأْنَا وَظَلَمْنَا ، وَنَحْنُ نَتُوبُ إِلَى اللَّهِ

– عِزُّ وَجَلُّ – مِمَّا صَنَعْنَا ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَقْبَلَ تَوْبَتَنَا ..

فَدَعَا أَرْمِيَا عليه السلام رَبَّهُ ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ أَنَّهُ غَيْرُ فَاعِلٍ ،

فَإِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ، فَلْيَقِيمُوا مَعَكُمْ بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ ..

فَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ أَرْمِيَا عليه السلام بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ – تَعَالَى – بِهِ ،

قَالُوا لَهُ :

– كَيْفَ نَقِيمُ بِهِذِهِ الْبَلَدَةِ ، وَقَدْ خُرِبَتْ ، وَغَضِبَ اللَّهُ

عَلَى أَهْلِهَا ، وَرَفَضُوا أَنْ يَقِيمُوا بِهَا .. وَمِنْ ذَلِكَ

الوقت تفرق بنوا إسرائيل في البلاد ، فنزلت طائفة
منهم بالحجاز ، وطائفة نزلت يشرب وهي المدينة
المتورة ، وطائفة وادي القرى ، وطائفة سافرت إلى
مصر ، وأخرى إلى بلاد المغرب ..

وهكذا تحقق وعيد الله - تعالى - وانتقامه من بني
إسرائيل بسبب عصيانهم وكفرهم وقتلهم أنبياء الله ،
وكثرة ذنوبهم ومعاصيهم ، وتحريفهم التوراة ، ونقض
العهود والمواثيق مع الله ..

وقد قص القرآن الكريم قصة تخريب مملكة اليهود ،
وتخريب بيت المقدس في هذه الآيات :



﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَآئِيلَ
 أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةً مِّن حَمَلِنَا مَعَ نُوحٍ
 إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَآئِيلَ فِي
 الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا *
 فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولَىٰ بَأْسٍ
 شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ
 رَدَدْنَا لَكُمُ الْكُرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ
 وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ
 لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ
 لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ
 مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ
 وَإِنْ عُدْتُمْ عَدُنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ .

[الآيات من ٢ : ٨ من سورة الإسراء]

(تَمَّتْ)

الكتاب التالي
 العزيز عليه السلام
 احرص على اقتنائه